لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي (١)

مدخل البحث

كنت منذ حين أتوقع قيام المجمع العلمي العربي بقضاء حق واجب عليه لأبي العلاء المعرّي فالمعرّي من حيث منهجه في البحث العلمي اللغوي في أكثر كتبه المعروفة ما هو إلا مجمع من أعظم المجامع العلمية وأكثرها عائدة على الأدب واللغة ولست مغالياً إذا قلت أن المعرّي سبق زمانه بألف سنة في القيام بأعظم ما تقوم به المجامع العلمية الحديثة من المهام وقد تخلى عن جميع متع الحياة لينجز بمفرده عملاً عجز عنه جمع غفير من العلماء فهو والحالة هذه أحق أئمة العلم واللغة والشعر بهذا المهرجان وقد فطن مجمعنا العلمي العربي إلى ذلك فنهض بواجبه وأدى الحق لصاحبه وهي لعمري مأثرة من مآثره وحسنة كبرى تضاف إلى حسناته الأخرى .

كنت من جملة من دعي إلى المساهمة في هذا المهرجان وقد تلقيت دعوة الرئيس بكثير من الابتهاج وذلك لولعي بأدب المعري منظومه ومنثوره بيد أني تحيرت بأي ناحية من نواحي المعري أبدأ وهي والحق يقال كثيرة يحار فيها الكاتب والأديب أأكتب فصلاً في سيرة المعري وأخباره أم في عصره وأحواله فأردد ما كتبه المؤرخون أم أملي كلمة في حكمة المعرّي وآرائه في الحياة وهو موضوع كثر خوض أعلام الفكر والأدب فيه أم أنشيء مقالة في أدب المعرّي وهو بحث مطروق ثم نظرت فاذا أمامي نسخة محصلة مختارة من اللزوميات طالما تأملتها واستوحيتها في شرخ الشباب وقد ألهمتني هذه النسخة الآن أن أكتب في هذا الموضوع ألا وهو لزوم ما لا يلزم في تاريخ آداب اللغة العربية .

---

(١) الكلمات التي بعث بها أصحابها لتنشر في الكتاب بعد أن تعذر حضورهم إلى دمشق في أسبوع المهرجان .

لزوم مالا يلزم في تاريخ آداب اللغة العربية

في لزوميات المعري نواح جمة تثير فينا حب الدرس والنظر فمن ذلك ناحيتها الفلسفية وهي أوفر نواحي اللزوميات حظاً من عناية الادباء فقد اوردوا فيها الرسائل والفصول غير انه قل من أفرد بحثاً في تاريخ تطور هذا الفن المسمى « لزوم مالا يلزم » وكيف نشأ في الأدب العربي سواء أكان ذلك قبل عصر المعري ام بعده لذلك رأيت من المفيد الالمام بهذه الناحية الادبية اللغوية من نواحي اللزوميات ومن الواضح انه لاعلاقة البتة لهذا البحث بالفلسفة العلائية .

لزوم مالا يلزم في شعر العرب

قال أبو العلاء المعري (١) :

كثيّر انا في حرفي اهبت له ... في التاء يلزم حرفا ليس يلتزم

أبى شاعرنا الحكيم الا ان يكون مؤرخا في بيته هذا يؤرخ الفن الذي احبه ونذر له نفسه ألا وهو التزام مالا يلزم .

يقول أبو العلاء انه حذا حذو كثيّر عزة الذي التزم اللام في تائيته التي يقول في مستهلها :

خليليّ هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

وهذه القصيدة — وهي مما يستجاد من شعر العرب — تعد حسب رواية القالي (٢) خمسة وثلاثين بيتا بناها من اولها الى آخرها على التزام حرف معين قبل الرويّ وهو امر لم يسبق اليه شاعر من شعراء العرب وله قصيدة أخرى اولها :

أدارا لسلمى بالنباع فحمت ... سألت فلما استعجمت ثم صمت

فلزم الميم كما فعل باللام فهل كان كثير اول شاعر استخدم هذا النوع من انواع البديع فقلده الشعراء وهل اراد المعري ذلك ؟ الجواب كلا . ومن رأيي أن المعري في اقتدائه بكثير عزة لم يفعل ذلك لان كثيراً اول من استخدم هذا الفن كما توهم فريق من علماء البيان بل لأن لزوم مالا يلزم لم يرد الا نادراً في شعر العرب

(١) اللزوميات ٢ : ٢٣٠ ط الجمالية سنة ١٣٣٣

(٢) امالي القالي ٢ : ١٠٩

قبل عصر كثيّر كما انه ورد عفوا في نبذ ومقطوعات قصيرة اما كثيّر فقد نظم اشهر واطول قصيدة لزومية تناقلها الرواة وبذلك يتداعى زعم من زعم غير هذا من علماء البديع . وفي مقدمة اللزوميات للمعري نفسه مايفند مزاعم القوم في المقدمة المذكورة (١) شواهد تدل على أن هذا النوع من أنواع البديع ورد في شعر الأعشى وطرفة والنابغة وعمرو بن معد يكرب وغيرهم من القدماء ولا حاجة إلى القول بأنه شيء غير مقصود وقد ورد عفواً في شعر القوم أو في كلامهم المطبوع أما صاحبنا كثيّر فقد تصنع وقصد التفنن في تائيته فحذا حذوه الشعراء وحسب كثير أن يعترف المعرّي له بهذه الفضيلة .

وللمعرّي فصل لطيف في تاريخ علم القوافي ومصطلحاتها أو ألقابها كما يقول وهل هي — أعني مصطلحات القافية — من وضع العلماء في عصر التدوين أم تلقيت عن العرب فان سكان العمد وإن كانوا لا يعقلون هذه المصطلحات إلا أنه وجد فيهم من يعرف مواقع الحروف ويقرأ ويكتب وقد ورد في هذا الفصل من مقدمة لزوم ما لا يلزم ذكر الخليل وسعيد بن مسعدة (٢) والفرّاء وخلف بن حيان من علمائهم بالشعر والنحو واللغة وقد استنبط المعرّي من الباب الذي عقده أبو عبيدة القاسم بن سلام للبحث في القوافي (في كتابه الغريب المصنف) ومن إسناده لها عن الشيوخ ان صاحب الغريب يرى أنها أي المصطلحات مأخوذة عن العرب كما تؤخذ عنهم اللغة وهذا الفصل الذي كتبه المعري من أقدم ما وصل الينا في هذا الموضوع (٣) .

هذا وقد أكثر شعراء العرب قبل كثير عزة وبعده من التزام ما لا يلزم قبل تاء التأنيث هذه فتارة يلزمون اللام كما رأيت في قصيدة كثير وهو الأكثر وطوراً يلزمون الميم وقد يلتزمون غيرها من الحروف وأكثر ما اتفق لهم في ذلك من الشعر يعدّ من الرائق المستجاد ومن هؤلاء الأعشى وعمرو بن

(١) مقدمة اللزوميات للمعري ١٩ و ٢٠ ط الجمالية سنة ١٣٢٣

(٢) هو ابو الحسن المعروف بالاخفش الاوسط انظر نزهة الالباء ١٨٦ ومعجم الادباء ٤:١٤٢ و ١٤٤

(٣) مقدمة اللزوميات ١١ و ١٢ ط الجمالية سنة ١٣٢٣

معديكرب ومن بعدهم يعقوب بن سليمان بن طلحة بن عبدالله ومن أحسن شواهد هذا الباب وأشهرها الأبيات التي أولها (١) :

سأشكر عمراً ان تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت

وأول أبيات الأعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت

وأول أبيات يعقوب بن سليمان (٢) :

وقد كنت لي حسباً من الناس كلهم ترى بك نفسي مقنعاً لو تملت

ومن القوافي التي التزم فيها العرب ما لا يلزمهم كاف الاضمار في مثل « جمالك وشمالك » وقد التزموا اللام فيها قبل الضمير وقد علل المعري التزام العرب بذلك في خصوص هاتين القافيتين أعني التائية والكافية بأن تاء التأنيث هذه وكاف الاضمار ضعيفتان وكلتاهما من حروف الهمس (٣) فكأن اللام الملتزمة في هذه القصائد هي القافية وكأن كلاً من التاء والكاف صلة لها لا أكثر .

هذا ويمكن أن يلتزم الشاعر حرفين أو أكثر إلى أربعة أحرف أو خمسة (٤) وممن بلغ الغاية في ذلك أبو العلاء المعرّي نفسه فقد بنى قافية على « دارهم مزدارهم صدارهم » ملتزماً فيها أربعة أحرف وبنى أخرى على « ضرائرهم حرائرهم سرائرهم » ملتزماً فيها خمسة أحرف وثالثة على « يعذبون يكذبون يجذبون » ملتزماً فيها أربعة أيضاً إلى غير ذلك .

لزوم ما لا يلزم في أدب المولّدين

لزوم ما لا يلزم معدود على الأكثر من صناعة المحدثين أو المولدين كبقية أنواع البديع فالمحدثون استخدموا هذا الفن فأكثروا من استخدامه عن علم

(١) رويت الأبيات المذكورة في كتب الأدب لجماعة منهم عبد الله بن الزبير على وزن [قتيل] ومحمد بن سعيد البغدادي وابراهيم بن العباس الصولي وغير هؤلاء . وممن نسبها إلى الصولي ابن خلكان في الوفيات ٣ : ٢٣١

(٢) ذيل أمالي القالي ٢٩

(٣) مقدمة اللزوميات ١٨ ط الجمالية سنة ١٣٢٣ ويقول المعري ان حروف المعجم متساوية في القوة الا ما ذكر من التاء والكاف المصدر نفسه ٢٧

(٤) المصدر نفسه ٢٨

وخبرة وبذلك تميزوا عن القدماء ومن أوضاع المحدثين على الأغلب هذه الألفاظ أو الألقاب التي أطلقوها على فنون البديع ولذلك لا يكاد يخلو شعر شاعر من خولهم من لزوم ما لا يلزم نجده في شعر أبي نواس على قلة وهو أكثر في شعر أبي تمام ولا يخلو شعر البحتري منه قال المعرّي[1] وقد بنى أبو عبادة قصيدة على الطويل الأول وجعل قوافيها على « اروى وجدوى » فلزم الواو إلى آخر القصيدة فقد لزم فيها ما لا يلزم أن جعل روي القصيدة الألف أما ابن الرومي فهو على ما يقول علماء الأدب والبيان من أكثر المحدثين ولعاً بلزوم ما لا يلزم قال المرزباني « ابن الرومي أشعر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم شعراً وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره ويلزم نفسه ما لا يلزم ويخلط كلامه بألفاظ منطقية يجمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ[2] » وقال الزبدي كان ابن الرومي من أكثر الناس ولعاً بلزوم ما لا يلزم في شعره[3] إلا أن المعري أغفل ذكره في من ذكر في هذا الباب مع أنه أولى المولدين بذلك وهو خاصة أولى من البحتري لأنه أكثر استخداماً منه لهذه الصناعة ولا ندري على وجه التأكيد علة ذلك الاغفال ونرجح أن للمعري رأياً خاصاً في صاحبه ونحن نعلم أن الاثنين مختلفان في المذهب والمزاج متباينان في الطباع ومن رأي المعري على الأرجح ان ابن الرومي مدخول العقل كما يظهر من وصفه له في رسالة الغفران[4] ويؤخذ على ابن الرومي شيء من الغموض والتعقيد وله أسلوب في البيان يفتقر إلى الصقل والعناية وإلى ذلك يومي المعرّي في قوله[5] :

لو نطق الدهر هجا اهله كانه الرومي أو دعبل

(١) مقدمة اللزوميات ٢٨ وأول قصيدة البحتري المذكورة :

لنا أبداً بث نعانيه في أروى وحزوى وكم أدنتك من لوعة حزوى

(٢) معجم الشعراء ٢٨٩

(٣) يحيى بن حمزة الزبدي في الطراز ٢ : ٤٠٢

(٤) رسالة الغفران ١٦١ ط مصرية قديمة

(٥) اللزوميات ٢ : ١٦٣

وهو لعمري شاعر مغزر بالفعل لكن لفظه مجبل

اقسام اللزوم

لم يعرف القدماء الا نوعاً واحداً من لزوم مالا يلزم وهو مابنيت عليه لزوميات المعري بيد أن المتأخرين حاولوا اضافة اقسام اخرىً الى هذا الباب من ابواب البديع ومن هذا القبيل قسمٌ سموه « المجنب » وهو أن يجمع في القافية بين كلمتين احداهما كالجنيبة التابعة للأخرى مثل قول أبي الفتح البستي :

أبا العباس لاتحسب باني لفقري من حلى الاشعار عاري
فلي طبع كسلسال معين زلال من ذرى الاحجار جاري
وما اكبت لي الايام زندا فلي زند على الادوار واري

وهذا هو رأي كل من ضياء الدين بن الاثير(١) وعبد الحميد بن أبي الحديد (٢) والاكثرون على انه نوع من انواع الجناس وسموه « المزدوج » أو « المردد » (٣) هذا ومما عده المتأخرون من اقسام اللزوم « تصغير القافية » مثل قول الشاعر :

عز على ليلي بذى سدير سوء مبيتي ليلة القمير

قال ابن الاثير اذا صغرت الكلمة الاخيرة في الشعر فان ذلك ملحق بلزوم مالا يلزم (٤) » وقد نظم المتأخرون ونثروا بالفاظ كلها معجمة أو كلها مهملة أو جميعها متصلة أو بالعكس وبالغ كثير منهم في العبث بهذه الصناعة اللفظية وعدّ قوم هذا من قبيل لزوم مالا يلزم قال العباسي (٥) ومما يلحق بهذا النوع يعني لزوم مالا يلزم مايختبر به الادباء افكارهم ويشحذون به قرائحهم من التزام حروف جميعها مهملة أو جميعها معجمة أو لاتنطبق معها الشفتان الى غير ذلك من التفننات ويغلب على الظن أن للزوميات المعري دخلا في اتساع القوم بهذا النوع من التصنع

(١) المثل السائر ١٠٣

(٢) شرح النهج ٢ : ٣٨٦

(٣) يحيى بن حمزة الزيدي في الطراز ٢ : ٣٧٦ وراجع أيضاً المثل السائر ١٠٣ وشرح النهج ٢ : ٣٨٦ وجنان الجناس للصفدي ٢٧ قال : ومنهم من يسمي هذا النوع « المكرر » و « المردد » وللصفدي في هذا الكتاب بعض اللزوميات .

(٤) المثل السائر ١٠٨

(٥) معاهد التنصيص ٢ : ١٠٦

بعد العجز عن محاكاة المعري في فنه زاعمين أن ذلك من قبيل لزوم مالا يلزم وليس منه في شيء ومهما كان فهو توسع لاأثر فيه للابداع ولا طائل تحته وانما هو عبث الأدباء في عصر استولى فيه الجمود واستحوذ الخمول على الافكار .

القاب اللزوم

ويبدو لنا من تصفح الكتب التي الفها علماء البيان أن لهذا النوع من انواع البديع عدة القاب ظهرت في مختلف العصور ومن اقدمها « الاعنات » من العنت وهو الكلفة والمشقة وهو على ماظن اول لقب اطلق على هذا الفن وبه عرف في كتب البلاغة والبيان التي الفها القدماء مثل ابن المعتز (١) وغيره وقد استعمل هذا اللقب مدة بعد عصر ابن المعتز الى أن تغلبت عليه وعلى بقية اسمائه كالتشديد والتضييق الكلمة الشائعة اليوم وهي « لزوم مالا يلزم » وذلك في عصر المعري أو في عصر قريب منه وخاصة بعد أن ظهر ديوان اللزوميات .

لزوميات المعري

كثرة الالتزامات في شعر المعري

عرفنا مما مرّ ان لزوم مالا يلزم ورد في شعر العرب ولكنه نادر على كل حال اما في شعر المولدين والمحدثين فانه اكثرُ من شعر العرب ولكنه قليل لايكاد يذكر بالقياس الى شعر المعري في اللزوميات فالمعري هو أول من التزم مالا يلزم في مجموعة كبيرة من شعر تكون في العدة كدواوين كثيرة والشائع المتداول ان المعري فرض على نفسه التزام قيد واحد في اللزوميات والواقع غير ذلك ففي هذه اللزوميات قيود أو كلف ثلاث اولها استيعاب حروف المعجم عن آخرها في الروي وثانيها استعمال الحركات الثلاث في القافية ومن بعدها الوقف أي الاسكان وثالثها التزام حرف معين أو عدة أحرف قبل الروي وهو لزوم مالا يلزم بمعناه المصطلح فهذه ثلاث التزامات صناعية على رأي المعري (٢) واكثر من ثلاثة بعد اضافة الوقف اليها على رأي آخر (٣) وهكذا انفرد أبو العلاء بهذه الخصائص الفنية وامتاز

(١) انظر كتاب البديع لابن المعتز ٧٤ (٢) مقدمة اللزوميات ٢٠ و ٢١

(٣) ياقوت في معجم الأدباء ١ : ١٨٣ وهذه عبارة ياقوت : بنى « لزوم ما لا يلزم » على حروف المعجم يذكر كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة وهي الضمة والفتحة والكسرة والوقف .

على الشعراء قديمهم وحديثهم بهذا المذهب الجديد والاسلوب المخترع فقد جرت عادة هؤلاء الشعراء ان ينظموا الشعر كيفما اتفق وعلى اي روي يهديهم اليه الخاطر لايترسمون غاية معينة كما فعل صاحب اللزوميات والواقع انك اذا تصفحت كثيراً من دواوين القدماء لاتكاد تعثر فيها على ابيات التزموا فيها مالا يلزم الا نادراً ولا يوجد فيهم قط من استوعب حروف المعجم في القوافي أو نظم في قافية مستوعرة أو حوشية وهؤلاء المحدثون أو المولدون وفحولهم مكثرون وقد يكون ديوان احدهم في العدة كدواوين كثير من القدماء فلما استوعبوا في قوافيهم حروف المعجم عن آخرها واذا اتفق لبعضهم ذلك في الحروف فانه في حلٍ من الحركات وفي حلٍّ من الوقف والاسكان فهذا البحتري لم يعثر في ديوانه على رويٍّ بني على الخاء والتاء والغين وهذا المتنبي استعمل الهمزة مضمومة مرة ومكسورة أخرى ولكنه لم يستعملها مفتوحة ولا ساكنة إلى غير ذلك فاللزوميات والحالة هذه عمل مركب شاق لا بد للاحاطة بجزئياته ثم انجازها من قوة ذهنية ممتازة ومواهب فطرية خارقة للعادة لذلك قيل « ان المعري » أحد أذكياء العالم ونادرة من نوادر بني آدم .

تفاسير اللزوميات ومختاراتها

من الخطأ أن يظن أن اللزوميات هي الكتاب الوحيد في موضوعه للمعرّي فقد اضطر صاحب اللزوميات إلى تأليف كتب ضخمة تتعلق بديوانه المذكور اما شرحاً لما فيه من الغريب مثل كتاب « راحة اللزوم » في مائة كراسة وقد ذكره القفطي وياقوت الحموي والحاج خليفة (١) واما دفاعاً عن آرائه فيه مثل « زجر النابح » وذلك أن بعض الجهال تكلم على بعض أبيات منه يريد التشرر والأذية فالزم أبا العلاء أصدقاؤه فأنشأه وهو كاره في (٤٠) كراسة وكتاب « بحر الزجر » يتعلق بزجر النابح وله كتاب سماه « الراحلة في تفسير لزوم ما لا يلزم » (٢) وقد ضاعت هذه الكتب فيما ضاع من كتب المعري ولم يصل إلى أيدينا منها شيء . وللبطليوسي شارح سقط الزند شرح على بعض اللزوميات

(١) كشف الظنون ١ : ٥٣١

(٢) ياقوت في معجم الأدباء ١ : ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٧ وكشف الظنون ١ : ٥٣١

نقل لنا عنه بعض الأدباء (١) وتوجد من هذا الشرح أوراق قديمة في الخزانة التيمورية بالقاهرة وهو شرح ممزوج لشعر المعرّي في السقط واللزوميات . وفي الخزانة المذكورة رسالة تتضمن مباحث جرت بين القاضي أبي بكر بن العربي والبطليوسي بشأن الشرح المذكور وفيها أيضاً نسخة مخطوطة من مختصر اسمه « مختار لزوم ما لا يلزم » لم يعرف صاحبهـــا (٢) وقد اختار بعض أدباء القاهرة منذ أربعين سنة مجموعة من اللزوميات سموها « الالزم من لزوم مالايلزم» ولها مقدمة لطيفة وفيها يقول حافظ ابراهيم :

لله درّ انتخـاب بحسن ذوقك يشهد
كان كتاب المعرّي فصار معجز أحمد

وفيهـا لآخر (٣) :

أجدت انتخاباً يا نسيم وجدته ألذّ من الماء الزلال على الظما
لقد كان سفراً لم نجد لاقتنائه لزوماً فأضحى بانتخابك ألزما

وألف شميم الحلي كتاباً سماه « الاشارات المعرّية » (٤) ولابن القامغاز (٥) الحلي كتاب المطاول يرد فيه على المعري في مواضع سها فيها .

نقد اللزوميات

نقصد بهذا العنوان نقد اللزوميات من ناحيتها الادبية فمن علماء الادب من يزعم ان الكلفة ظاهرة في لزوميات المعري وان جيدها المطبوع لايزيد على رديها المصنوع واقدم ماوصل الينا من هذا القبيل رأي ضياء الدين بن الاثير فقد زعم ان شعر أبي العلاء في اللزوم متكلف وقال عن شعر لابي تمام في اللزوم « هذا احسن مايجيء في هذا الباب وليس بمتكلف كشعر أبي العلاء » وقال ايضاً « ماينبغي لمؤلف الكلام ان يستعمل هذا النوع حتى يجيء به متكلفا وقد سلك ذلك أبو العلاء المعري « ومن اقواله » وقد جمع أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان كتاباً سماه

(١) الخفاجي في شفاء الغليل ١٩١ والبلوي في الف باء ٢ : ٥٢
(٢) أبو العلاء المعرى لأحمد تيمور ٦٨ و ٧٣
(٣) الألزم من لزوم ما لا يلزم ط الجمهور سنة ١٣٢٣
(٤) معجم الأدباء ٥ : ١٣٨
(٥) بغية الوعاة ٧٩

« لزوم مالا يلزم » فأتى فيه بالجيد الذي يحمد والردي الذي يذم [١] ومن شعر أبي العلاء المتكلف على رأي ابن الأثير لزوميته التي اولها :

تُنازعُ في الدنيا سواك ومالهُ ولا لك شيءٌ في الحقيقة فيها

وقد تبع ابن الأثير في هذا الرأي جماعة منهم عبد الحميد بن أبي الحديد فقال : « وقد صنع أبو العلاء المعري كتاباً في اللزوم من نظمه فأتى فيه بالجيد والردي واكثره متكلف [٢] » وللمتأخرين عن هؤلاء كلام في نقد اللزوميات أضربنا عنه صفحا لانه لايزيد على كونه ترديدا لكلام ابن أبي الحديد وابن الأثير مثل قول ابن معصوم [٣] « ألف الشيخ أبو العلاء المعري كتابا سماه لزوم مالا يلزم ولكن جمع فيه الغث والسمين » الى غير ذلك من الاقوال .

فهذه كما ترى اقوال عامة لم تُدعم بدليل ومنشأها اما الجهل باغراض أبي العلاء أو الحسد والمكابرة . واللزوميات على ماارى لم تخل من تشدق أو تكلف وكيف يخلو من ذلك سفر في ضخامة هذا الديوان ومن هذا القبيل قول المعري فيها :

غلت واغلت ثم غالت وأوحشت وحشت وحاشت واستمالت وملت

وقوله :

مابال رأسك لاتبش بلونه عين وبات بكل ذي نظر يبش
يمسي كبعض الروم ابيض باردا ولقد يكون كانه بعض الحبش

فهذا والذي قبله شيء ثقيل بارد ولهذه الابيات نظائر في اللزوميات ولكنها قليلة مغتفرة بالقياس الى كثيرها من الشعر المطبوع .

وخلاصة القول كان صاحب اللزوميات مطبوعا على هذا الفن وقد يتكلف ويتعسف ولكن تكلفه ليس بكثير خلافاً لما ادعاه هؤلاء الادباء .

لزوم مالا يلزم بعد عصر المعري

دخل هذا الفن منذ عصر المعري في طور جديد من حيث طبيعته ومميزاته ففي هذا العصر انشئت اللزوميات وصار لزوم مالا يلزم شعاراً لصاحبها وميزة

(١) المثل السائر ١٠٥ و ١٠٨
(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ٦٦
(٣) أنوار الربيع ٧٧٩

يمتاز بها ادبه حتى شاع هذا اللقب كانما هو من الاوضاع اللغوية التي ابتكرها المعري وكأنّ مدلول هذه العبارة مدلول قائم بنفسه ليس له صلة بالبديع أو بهذه المحسنات اللفظية وذلك لأن المعري استخدم فنون البديع للتعبير عن آرائه وهي آراء خاصة فاجأ بها الناس وتناول فيها نقد عاداتهم واخلاقهم ونظم الحكم والسياسة وشؤون الاجتماع والعمران عندهم أي ان المعري استخدم هذه الصناعة اللفظية تحدوه فكرة عامة أو غاية فلسفية بعيدة وبهذا فارق سواه ممن استخدموا انواع البديع ولا غاية لهم الا مجرد العبث بالالفاظ الفارغة فللزوميات فضل ظاهر لافي موضوع الادب واللغة فحسب بل في باب العلم والمعرفة .

فضل اللزوميات على اللغة

تركت اللزوميات اثراً لايستهان به في عصر المعري والعصر التي تليه وذلك من نواح شتى فمن الناس من تأثر بها من حيث لغتها واساليبها البيانية فبعثت من هذه الناحية نهضة لغوية كبرى شاع على اثرها التزام مالا يلزم في شعر الشعراء وفي انشاء المترسلين وخصوصاً في القرنين الخامس والسادس وهلم جرا وحاول كثير من الادباء محاكاة المعري في جزالة الفاظه أومشايعته في طريقته أو معارضته في اسلوبه الا انهم قصروا عن شأوه غالباً فالمعري امام مجدد مجتهد في ادبه والقوم مقلدون على الاكثر وقصارى احدهم ان يلتزم مالا يلزم في ابيات او في قصيدة أو عدة مقطعات واين هذا من سفر كامل مفرغ الحلقات كاللزوميات ولدينا شواهد كثيرة على شيوع الادب اللزومي في العصور المذكورة فهذه المقامات اللزومية لمنشئها الوزير السرقطي الآتي ذكره وكذلك الرسائل اللزومية لكل من ابن اسيد الغرناطي (١) وعبد الرحمن المكناسي (٢) وممن شغف بمباراة المعري نثراً ونظماً شميم الحلي (٣) روى عنه ياقوت وحدثنا عن اطواره الغريبة وله ترجمة مفصلة في معجم الادباء وهو من منشئي الرسائل اللزومية وله ايضاً كتاب الاشارات المعرية وكتاب اللزوم في مجلدين .

هذا في النثر واما في الشعر فقد سلك مسلك المعري في لزومياته كثيرون من

(١) السيوطي في البغية ٢٩٨

(٢) المصدر نفسه ٣٠٣

(٣) ياقوت في معجم الأدباء ٥ : ١٣٨

اشهرهم العلامة الماكسيني الآتي ذكره ومن الشعراء الذين اشتهروا بمحاكاة المعري في شعره أو في لزومياته ابن فورجة البروجردي وابو النجيب عبد الرحمن بن عبد الجبار المراغي احد افراد زمانه علماً وادباً وكان يلتزم مالا يلزم في شعره وهو المقصود بقول الأبيوردي الشاعر المشهور (١) :

شعر المراغي وحوشيتم كعقله اسلمه اسقمه
يلزم ما ليس له لازماً لكنه يترك ما يلزمه

وفي هذا المعنى لابن معصوم (٢) :

وشاعر قريضه من كل حسن معدم
لم يلتزم شيئاً سوى لزوم ما لا يلزم

فهذا ونحوه يدلنا على أن فريقاً ممن راق له مذهب المعري في لزوم مالا يلزم قصر عن شأوه في اللزوميات وذلك لأن صاحبها كان مطبوعاً على هذا الفن بخلاف غيره .

فضل اللزوميات على العلم

ويوجد فريق آخر تأثر باللزوميات من حيث الفكرة التي دارت عليها أي من حيث معاني اللزوميات لا من حيث مبانيها فقد ثار الجدل وكثر الخلاف بسبب اللزوميات وآراء المعرّي فيها وتضاربت أقوال المصنفين من العلماء والأدباء ما بين منتصف له أو قائل باكفاره حتى أن بعض الأدباء من أنصار المعري يضع اللزوميات في الرتبة بعد الكتب الإلهية المنزلة وهو القائل (٣) .

إن كنت متخذاً لجرحك مرهما فكتاب رب العالمين المرهم
أو كنتَ مصطحباً حكيماً سالكاً سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

فقد بعثت اللزوميات كما ترى حركة فكرية عامة تغلغلت في أنحاء العالم القديم شرقا وغرباً وظهر جماعة من البلغاء والمترسلين نهجوا بأدبهم نهج المعري في تذكير الناسي وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل وحاموا حول مقاصده

(١) ابن خلكان في ترجمة الأبيوردي من وفيات الأعيان وقلها ابن معصوم في أنوار الربيع ولا وجود لهذين البيتين في النسخة المطبوعة في بيروت من ديوان الأبيوردى .
(٢) أنوار الربيع ٨٦٠
(٣) نقلاً من ظهر نسخة قديمة من لزوم ما لا يلزم .

في التوحيد والالهيات وأصول الدين والأخلاق لكن لم يبلغ أحدهم شأوه في ذلك لأن سيرة المعري وسلوكه كانا من مواعظه البليغة فالمعرّي وعظ الناس بأعماله قبل أقواله والمرجح أن الزمخشري والاصفهاني في مقاماتهما ونوابغ كلمهما قد تأثرا بأسلوب المعرّي في ملتقى السبيل أو في الفصول والغايات .

والخلاصة للمعرّي في اللزوميات أسلوب أخاذ يشبه أساليب أساتذة التربية أحياناً فهو يترفق في صقل العقول لحملة المنقول كما يجتهد في تلقين لغة الأعراب وأصول الآداب لأصحاب التأمل والنظرات الفلسفية .

الرابطة المعرية

ونعني بهذه الرابطة تألب فئة من أئمة الأدب وفيهم جماعة من المكافيف أو العميان واتفاق آرائهم على تقديم المعرّي والتعصب لأدبه وافتفاء آثاره في منظومه ومنثوره وقد نشأت هذه الرابطة بعد عصر المعري ولاحظنا وجودها ونحن نتصفح كتب التاريخ والطبقات ولأدب المعري على الأرجح أبلغ الأثر في وعي أتباعه من العميان فقد نبه فيهم شعور الاعتداد بأنفسهم والثقة بكفاءتهم والاعتزاز بزعامته وإمامته في الأدب فراحوا يكثرون من رواية شعره ويبثون الدعوة له ومنهم من سلك مسلكه في التزام ما لا يلزم وذلك للرابطة التي تربط بين المعري وبين هؤلاء المكافيف ودونك أشهر من عرفناه من هؤلاء :

١ — العلامة الماكسيني (١) : اسمه مكي بن ريان الماكسيني الموصلي إمام في النحو واللغة والأدب بالغ تلاميذه — وهم كثيرون — في الثناء عليه ومن أقوالهم « جامع فنون الأدب وحجة كلام العرب » وهذه الكلمة لتلميذه ابن المستوفي وأطلق عليه صاحب التبيان (٢) في شرح الديوان لقب « الشيخ الامام »

(١) أول من ترجم للماكسيني تلميذه أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وعنه نقل المتأخرون مثل ابن خلكان ٢ : ٥٨٣ والصفدي في نكت الهميان ٢٩٦ والسيوطي في البغية ٣٣٥ وابن العماد في الشذرات ٥ : ١١ وماكسين التي نسب اليها بليدة من أعمال الجزيرة على نهر الخابور يقول ابن خلكان وهي على صغرها تشابه المدن الكبيرة في حسن بنائها ومنازلها .

(٢) انظر مقدمة التبيان في شرح الديوان [ط] القاهرة سنة ١٢٨٧ ومنها يظهر أن المؤلف قرأ المتنبي على الماكسيني سنة ٥٥٩ في مدينة الموصل .

وهو في رأي الجزري[١] « إمام عالم بالقراءات والنحو » ومما لاحظناه ان الماكسيني المجمع على تدينه وورعه كان أبداً يتعصب للمعري ويطرب اذا قريء عليه شعره فسلك مسلكه في النظم وذلك للجامع بينهما من العمي والادب على مايقول ابن المستوفي وهكذا نجد للمعري انصاراً من بين حفظة القرآن وائمة القراءات . توفي الماكسيني سنة ٦٠٣ ومن شعره .

سئمت من الحياة فلم أُردها تسالمني وتشجيني بريقي
عدويّ لايقصر عن أذايا ويفعل مثل ذلك بي صديقي
وقد أضحت لي الحدباء داراً وأهلُ مودتي بلوى العقيق

٢ — الداودي الضرير : داود بن احمد ابو سليمان الداودي الضرير — اديب بغدادي مولع بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة توفي الداودي سنة ٦١٥ ومن شعره أمثلة في معجم الادباء[٢] .

٣ — السنهوري المادح : اسمه احمد بن مسعود السنهوري الضرير ويعرف بالمادح عاصر الصفدي اجتمع به واخذ عنه سنة ٧٥٨ وفيه يقول « كان حفظه الله له قدرة على النظم ينظم القصيدة وفي كل بيت حروف المعجم وفي كل بيت ظاء وفي كل بيت ضاد وهكذا من هذا اللزوم » وتجد امثلة مشهورة في نكت الهميان[٣] .

٤ — الصرصري الشاعر البغدادي الضرير : لغوي أديب من البلغاء يدخل شعره في ثمان مجلدات مدائحه النبوية سارت بها الركبان له قصائد التزم فيها ما لا يلزم وهكذا الحروف الصعبة واخرى في كل بيت حروف المعجم . قتل الصرصري في وقعة بغداد سنة ٦٥٦ وتجد في نكت الهميان[٤] امثلة بليغة من شعره تجعله بحق من فحول الشعراء .

ومما يدخل في هذا الباب

الامير اسامه بن منقذ : من رواة شعر المعري في اللزوم وقد روى فيما روي

(١) طبقات القراء للجزري ٢ : ٣٠٩
(٢) معجم الأدباء ٤ : ١٩١
(٣) نكت الهميان ١١٥ و ١١٦
(٤) المصدر نفسه ٣٠٨ و ٣٠٩

له لزوميّة في الشيب بعبارة تدل على تقديم المعري واكباره (١) ولا توجد هذه اللزومية في النسخ المتداولة من اللزوميات وهي :

واهاً لرأسك زال ادهمه عنه واشهبه وارقطه
وأعادهُ مثلَ اللجين مدىً قد كان قبل به ينقطه
ياليت شعري حين يرتحلُ ال جونُ المودَّع اين مسقطه

ابن فورجة : محمد بن حمد بن فورجة ـ زنة سكرجة ـ البروجردي نحوي لغوي من المبرزين في النظم والنثر لقي المعري في بغداد على الاكثر وقرأ عليه واكثر من الرواية عنه وبينهما مشاعرة ومكاتبة وقد ورد ذكره في سقط الزند بمناسبة قصيدة بعث بها الى المعري اولها :

الا قامت تجاذبني عناني وتسألني بعرصتها المقيلا

فاجابه المعري بقصيدة مشهورة اولها :

كفى بشحوب اوجهنا دليلا على ازماعنا عنك الرحيلا

ومنها :

كلفنا بالعراق ونحن شرخ فلم نلمم به الا كهولا
وردنا ماء دجلة خير مـاء وزرنا سيد الشجر النخيلا
وشارفنا فراق أبي عليّ فكان أعزّ داهية نزولا
ولو لم الق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحظ الجزيلا

وللمعري اثر كبير في طريقته واسلوبه في الشعر ولذلك قال الباخرزي (٢) «شعره فرخ شعر الاعمى اعني شاعر معرة النعمان وان كان هذا الفاضل منزها من معرة العميان» وفي دمية الباخرزي وتتمة اليتيمة للثعالبي امثلة من شعره (٣) ولابن فورجة حديث ممتع في النقد الادبي جرى بينه وبين المعري بشأن المتنبي وفي هذا الحديث اشارة إلى مقاييس الفصاحة عند القوم وقد حكاه صاحب التبيان في شرح

(١) لباب الآداب [ط] الرحمانية ٣٧٥ وعبارة الامير أسامة (وللشيخ أبي العلاء بن سليمان التقدم في هذا المعنى بقوله) وانظر ٢٠١ و ٣٧٠ و ٤٦٢ من الكتاب المذكور

(٢) دمية القصر ٩١ من الطبعة الحلبية

(٣) تتمة اليتيمة [ط] طهران ١ : ٢٢١ و ٢٢٥ وممن ترجم لابن فورجة ابن شاكر في فوات الوفيات ٢ : ٢٦٧ و ٢٦٨ والسيوطي في البغية ٣٩ والمجد الشيرازي في البلغة ٠

الديوان (١) وابن فورجة كما مر كثير التحدث والرواية عن أبي العلاء في الادب واللغة وفي اسمه وميلاده اقاويل مختلفة اصحها ما قدمناه .

لزوم ما لا يلزم في الادب الاندلسي

يروع المتأمل في تاريخ الاندلس نهضة منقطعة النظير في اللغة وآدابها وفي علوم النقل والرواية وكثرة غريبة في عدد اللغويين والنحاة لم يعهد مثلها قط إلا في العراق في بعض عصوره والاندلس تلي العراق في كثرة من تخرّج فيها من أئمة النحو واللغة واهل الرأي والمذهب فيها ولا مجال في هذه العجالة لتفصيل ذلك هذا من ناحية ويدهش المتأمل من ناحية أخرى فتور ظاهر في الاندلسيين من حيث عنايتهم بالحكمة والمعارف العقلية في بعض العصور وقد عانى كثير من اعلام الفكر وأهل النظر ما عانوه من العنت والضيق على ايدي أمراء السوء يعاونهم على ذلك أحيانا فريق من المتفقهة الجامدين وتاريخ اولئك الاعلام والنظار في الاندلس حتى أعيان الادباء مليء بالمحن والنكبات في كثير من الاحيان وقد اسرع الانحلال الى دول الاسلام في الاندلس والمغرب ومن جملة العوامل في ذلك — على ما أظن — هذا الافراط والتفريط افراط القوم في جانب المنقول وتفريطهم في ناحية المعقول وذلك خلافاً للامم المنيعة المجاورة للاندلسيين وهي امم كان جل اعتمادها في حياتها على المعقولات وعلى الحقائق التي تعززها التجربة ويشهد بها الامتحان .

وقد دخل أدب المعري من شعر ونثر الى الاندلس على ايدي جماعة من تلامذته المغاربة أو الاندلسيين الذين رحلوا الى الشرق ولازموا أبا العلاء وقرأوا عليه اوعلى من قرأ عليه من تلامذته كالخطيب التبريزي شارح الحماسة فشغف الاندلسيون بأدب ابي العلاء واعجبتهم طريقته واساليبه وكثر فيهم مقلدوه واتباعه في فنونه الادبية كما يظهر لنا من تصفح كتب التاريخ والطبقات ولا نبالغ اذا قلنا ان مؤلفات المعري في الشعر واللغة خاصة بعثت من جهة نهضة أدبية لغوية كما اوجدت من جهة ثانية حركة فكرية عامة في الاندلس . فمن الاندلسيين فريق تصدى لمساجلة المعري ومعارضته وبينهم الاعيان والوزراء في كتب لم تزل باقية

(١) التبيان ٢ : ٤٧٥

إلى هذه الغاية في خزائن المغرب والاندلس (١) ومن الاندلسيين فريق آخر تأثر بالمعري من حيث بلاغته وجزالة لغته في شعره خصوصاً سقط الزند والدرعيات وغيرها وقد عنى هؤلاء برواية شعره في السقط أو شرح ما فيه من الغريب فكان السقط من جملة محفوظات البلوي صاحب كتاب « ألف باء » ومن شراح السقط ولعله اشهر شراحه ابن السيد البطليوسي صاحب الاقتضاب الآتي ذكره ومن أدباء الاندلس من حاكى أبا العلاء في التزام ما لا يلزم ومن هؤلاء أصحاب المقامات والرسائل اللزومية في النثر . وأصحاب الدواوين في النظم وقد ضاع اكثرها فلم يصل إلى أيدينا منه شيء فلا نرى جدوى في التعريف باصحابها وانما نكتفي بذكر من وصلت الينا آثارهم ممن حذوا حذو المعري في لزوم ما لا يلزم نثراً ونظماً من الاندلسيين مبتدئين بالقسم الاول اي بالكتاب والمترسلين .

لزوم ما لا يلزم في نثر الاندلسيين

اشتهر بالتزام ما لا يلزم في النثر فريق من كتاب الاندلس وهاك اسماء أربعة من مشاهيرهم في استخدام الفن المذكور .

١ ـ السرقسطي صاحب اللزوميات : اسمه محمد بن يوسف بن ابراهيم السرقسطي شاعر ناثر اديب رحالة في طلب العلم جاب الاندلس وزار أشهر مدنها ومنها غرناطة قرطبة مرسية بلنسية مالقة شاطبة للاخذ عن أعلامها وممن أجاز له القاضي ابو علي الصدفي وهو أكبر مشايخه (٢) ترجم للسرقسطي ابن الابار (٣)

(١) من هذه الكتب الباقية الى الآن كتاب [جهد النصيح] في مساجلة المعري في خطبة الفصيح تأليف الحافظ سليمان بن موسى الكلاعي كتاب [المسعى الجليل والمرعى الوبيل] في معارضة ملقى السبيل للحافظ محمد بن الأبار البلنسي ولابن الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين كتاب في هذا الموضوع . احكام صيغة الكلام من تأليف الوزير الأندلسي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ويذكر فيه بعض مؤلفات غير معروفة لأبي العلاء ومن هذه الكتب نسخ خطية محفوظة في الخزائن التونسية والأندلسية .

(٢) المعجم في اصحاب أبي علي الصدفي لابن الابار [ط] مدريد سنة ١٨٨٥ ص ١٤٠ و ١٤١ وراجع عن الصدفي طبقات القراء للجزري ١ : ٢٥٠ وطبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ٤٨ ونفح الطيب ١ : ٣٦٤ و ٣٦٥

(٣) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الابار

وابن بشكوال (١) والسيوطي (٢) وشهدوا بفضله وغزارة علمه وله شعر ورسائل ومن مؤلفاته « المسلسل » وموضوع هذا الكتاب لغوي ولكنه غريب لم يسبق اليه من حيث الوضع والترتيب فقد التزم السرقسطي فيه أن يفسر كل لفظة باخري لها معنيان قريب وبعيد أو معنى حقيقي وآخر مجازي ثم ينتقل إلى ذلك المعنى البعيد ويفسره وهلم جرا مثلا يفسر الذهب بالنضير ثم يقول النضير الناعم والناعم الخافض والخافض الواضع وهكذا على التسلسل فكأنه كتاب من كتب المجازات اللغوية أو من كتب البلاغة وما شاكل ذلك وهو مفيد في بابه . على أن أشهر ما وصل إلينا من اثاره مقاماته اللزومية .

المقامات اللزومية

هي خمسون مقامة انشأها السرقسطي بقرطبة لما وقف على مقامات الحريري التي أنشأها بالبصرة ولا شك أنه وقف على لزوميات المعري فجمع بين مباراة الاثنين وفي هذه المقامات يتحدث « المنذر بن حمام عن السائب بن تمام » اشتهرت هذه المقامات ورويت عن منشئها ولذلك يقول ابن الزبير « له المقامات اللزومية المشهورة » (٣) ويقول ابن بشكوال « له مقامات أخذت عنه واستحسنت » (٤) وممن رواها عنه الامام النحوي اللغوي المشهور بابن الباذش ورواها عن ابن الباذش ابن الابار ومن رواتها محمد بن خير الاشبلي صاحب الفهرست المشهور الآتي ذكره جاء فيه « المقامات اللزومية خمسون لابن الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي من انشائه روايتي كذلك عنه » (٥) وقد ذكرها في كشف الظنون (٦) ومما قاله « المقامات اللزومية مشهورة جاءت على غاية من الجودة » وعدد هذه المقامات اللزومية خمسون كما مر توجد منها نسختان في مكتبة جامع لاله لي بالاستانة وقد

(١) الصلة لابن بشكوال [ط] مدريد ٢ : ٥٢٩ و ٥٣٠

(٢) بغية الوعاة ١٢٠

(٣) نقله السيوطي عنه في البغية ١٢٠

(٤) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٢٢٩ و ٢٣٠

(٥) فهرس ابن خير [ط] اسبانية ٣٤٣

(٦) الكشف ٢ : ١٦٩٥ [ط] الاستانة

وصف النسخ المخطوطة من المقامات المذكورة أديب دمشقي (١) ونشر نموذجاً منها وهو المقامة الاولى واسمها « القفرية » ومن جملة هذه المقامات مقامة اسمها « الخداعية » وأخرى اختصت بالنظم والنثر وهي المقامة الخمسون وفي هذه المقامات دليل على بلاغة منشئها وغزارة مادته في الادب واللغة ولكن انى له بلوغ شأو المعري أو الحريري في المنظوم والمنثور .

٢ ـ ابن خير الاشبلي ابو بكر محمد بن خير الاشبلي حافظ ثقة في النحو واللغة والادب له ترجمة مفصلة في طبقات الحفاظ (٢) ومثلها في طبقات القراء (٣) وثالثة في بغية الوعاة (٤) وهو ممثل لنا ولع الاندلسيين بالمعري وعنايتهم بكتبه في ذلك العصر وذلك ما حملنا على ذكره في هذا المكان توفي ابن خير سنة ٥٧٥ بقرطبة ولم يصل إلى أيدينا من آثاره الا الفهرست المسمى « فهرست ابن خير » وهذا الفهرست عبارة عن سفر جمع فيه اسانيد ما رواه من الكتب وبعضها اسانيد عالية فهو مثلا يروى « الكامل » بسند عال يرفعه إلى المبرد وقد استطرد فيه إلى فوائد ادبية وتاريخية . ومن مرويات ابن خير على ما جاء في الفهرست المذكور (٥) جميع كتب المعري ورسائله وسائر شعره في « اللزوم » وكل ما له من منثور ومنظوم قال روايتي ذلك عن أبي بكر بن العربي (٦) عن أبي زكريا التبريزي عن المعري .

٣ ـ مترسلون لزوميون : وهذه اسماء فريق من المترسلين اللزوميين ورد ذكرهم في كتب الطبقات مثل عبد الرحمن بن اسيد الغرناطي قالوا هو كاتب بارع قدر من اللزوم على ماعجز غيره حتى صار طبعا له (٧) وعبد الرحمن السلمي الاندلسي يعرف بالمكناسي كاتب حلو الاغراض ينشيء الرسائل اللزومية

(١) السيد محمد علي ظبيان في مجلة المقتبس ٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٨ وفي مجلة الزهراء ٢ : ٢٠٢ ـ ٢٠٤

(٢) طبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ١٥٤ و ١٥٥

(٣) طبقات القراء للجزري ٢ : ١٢٩

(٤) البغية ٤١

(٥) فهرس ابن خير الاشبلي [ط] اسبانية ٤١٢ و ٤٥٠

(٦) انظر عن الحافظ أبي بكر العربي مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ٢١ و ٧٣ وطبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ٨٦ ـ ٨٩ وأزهار الرياض ٣ : ٦٢ ـ ٦٥ و ٨٦ و ٩٥ ونفح الطيب ١ : ٣٣٥ ـ ٣٤٣

(٧) البغية ٢٩٨ عن تاريخ غرناطة

وبلغ في اللزوم مبلغاً اعجز غيره وله رسائل جليلة . توفي بمراكش سنة ٥٩١(١) ومنهم ابن غلندة ذكر ابن الابار انه من اصحاب اللزوميات الى غير هؤلاء .

لزوم مالا يلزم في شعر الاندلسيين

مذهب الجماعة . مذهب اندلسي في الادب

قال الشهاب المقري (٢) في ترجمة ابن جزي الغرناطي مانصه « ذهب في شعره مذهب الجماعة كابي العلاء المعري والرئيس ابن المظفر وابي طاهر السلفي وابي الحجاج بن الشيخ وأبي الربيع بن سالم وابي علي بن أبي الاحوص وغيرهم » هذا ما قاله الشهاب المقري ومنه نعلم أن طريقة المعري ومن حذا حذوه في نظمه كانت طريقة مأثورة شائعة يدرسونها في الأندلس والمغرب وان « مذهب الجماعة » هذا مذهب اندلسي في الادب ويقصدون به نظم الاشعار في المواعظ والالهيات والتوحيد والاخلاق وما الى ذلك كما نجده في اشعار السلفي (٣) وابن جزي (٤) وابن ابي الاحوص (٥) وابن الشيخ وغيرهم ممن لم يذكرهم الشهاب المقري في كتابه وهي اشعار التزموا فيها ما لا يلزم في كثير من الاحيان وهاك اشهر شعراء الاندلس الذين نظموا شعرهم على الطريقة المذكورة وفي مقدمتهم ابن السيد البطليوسي والسرقسطي وغير هؤلاء :

١ — ابن السيد البطليوسي : عبد الله بن محمد بن السيد نزيل بلنسية شاعر ناثر بليغ مؤلف موفق في التأليف من اعلام الاندلس في اللغة والادب وهو

(١) البغية ٣٠٣ نقلاً عن ابن الزبير

(٢ أزهار الرياض ٣ : ١٨٤

(٣) انظر عن الحافظ السلفي وفيات الأعيان ١ : ٥٣ — ٥٥ وطبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ٩٠ — ٩٦ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٧ — ١٧١ ومواضع أخر من الكتاب المذكور

(٤) محمد بن جزي أديب فقيه مؤلف جماعة للكتب له خزانة ملوكية استشهد سنة ٧٧١ تجد ترجمته وأمثلة من شعره في أزهار الرياض ٣ : ١٨٤ — ١٨٦

(٥) ابو علي بن ابي الأحوص القرشي الغرناطي اسمه الحسين بن عبد العزيز له ترجمة مفصلة في بغية الوعاة ٣٣٤ وهو من حيث المزاج والميل الى العزلة والتسخط على الحياة والتزام ما لا يلزم في شعره كثير الشبه بأبي العلاء المعري .

صاحب الاقتضاب (١) والانصاف (٢) افرد الفتح بن خاقان رسالة خاصة في ترجمته ضمنها جزءا من شعره (٣) وله ايضا ترجمة في قلائد العقبان(٤) ووفيات الاعيان(٥) وبغية الوعاة (٦) .

عني البطليوسي بشعر ابي العلاء المعري وشرح مافيه من الغريب وله شرح مشترك على سقط الزند واللزوميات يقال انه احسن الشروح بيد انه نادر الوجود توجد منه اوراق قديمة في الخزانة التيمورية بالقاهرة(٧) وقد عثر اخيرا في تونس على نسخة قديمة منه في مجلدين فهو اقدم شرح يعثر عليه من شروح سقط الزند واللزوميات . وله شعر وترسل كثير وهو متفنن في شعره ونثره نظم قطعة تنفك عنها ست قطع وأخرى تنفك عنها تسع(٨) وللمعري تأثير ظاهر في طريقته واساليبه قال ابن خاقان وقد اكثر من القول في الزهد . توفي البطليوسي سنة ٥٢١ ومن شعره وقد التزم ما لا يلزم :

امرت الهي بالمكارم كلها ولم ترضها الا وانت لها اهل
فقلت اصفحوا عمن اناب اليكم وعوذوا بحلم منكم ان بدا جهل
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه لديك امان منك او جانب سهل

ومن تفننه قوله في اولاد صاحب قرطبة وهم عزون ورحمون وحسون :

اخفيت سقمي حتى كاد يخفيني وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظمئت نفسي الى ريق حسون فحسوني

٢ - - السرقسطي الشاعر : هو صاحبنا منشيء المقامات اللزومية المار ذكره في الفصل السابق شاعر مكثر يلتزم في شعره على الاكثر مالا يلزم ومن شعره امثلة عثرنا عليها في كتب الادب جلها على مانظن مقتبس من مقاماته اللزومية .

للسرقسطي في معاهد التنصيص(٩) اربعة ابيات لزومية مهد لها صاحب المعاهد بقوله ، ولابي طاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي وهو مصنف المقامات اللزومية وهي خمسون مقامة بناها على لزوم مالا يلزم واول الابيات :

(١) طبع في المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩٠١
(٢) طبع مصر سنة ١٣١٩
(٣) نقل المقري صاحب نفح الطيب وأزهار الرياض هذه الرسالة برمتها في كتابه الأخير ٣ : ١٠٣ و ١٤٩ (٤) ص ١٩٣
(٥) ٣ : ٤٧٤ (٦) ص ٢٨٨
(٧) ابو العلاء المعري لأحمد تيمور ٦٨ (٨) ازهار الرياض ٣ : ١٣٦
(٩) معاهد التنصيص ٢ : ١٠٦

ياهائما بالدلال والخفر الصقت خد العزيز بالعفر

ومن شعره في المقامات اللزومية وهو مما رواه ابن الأبار (١) والأبيات خمسة أولها :

هيهات من ذنب المسيء تأسف وله على هول الذنوب تسف

وله قصيدة من هذا الباب أولها :

دعا بك الدهر لو تجيب يا حبذا السامع المجيب

منها : المجد فوز الفتى بحظ فما تميم وما تجيب

٣ — ابن الشيخ البلوي (٢) : اسمه يوسف بن محمد أبو الحجاج القضاعي البلوي يعرف بان الشيخ عالم لغوي من محفوظاته سقط الزند عنى باللزوميات في شعره . أهم ما وصل من مصنفاته (الف باء) (٣) في الأدب واللغة وهو كتاب غريب الوضع والترتيب التزم في ترتيبه ما لا يلزم وفيه نقل عن شرح للبطليوسي على لزوم ما لا يلزم للمعرّي والبلوي المذكور مولع بالنظم على هذه الطريقة كأستاذ الفقيه أبي محمد الخطيب (٤) . توفي ابن الشيخ البلوي سنة ٦٥٣ ومن لزومياته في شيخ فقير خطب جارية غنية :

أتخطب من قدها غصن بان ومن كالسجنجل منها اللبان

تضاف إلى الشمس من حسنها وتنسب في العز للمرزبان

وأنت عديم أخو عيلة مشيبك في عارضيك استبان

وليكن هذا آخر البحث في تاريخ لزوم ما لا يلزم وهو فيما نظن قليل من كثير وربما فاتنا منه ما يعادل هذه الصفحات وقد حالت حوائل قاهرة دون استيعاب البحث مضافاً إلى كلال الذهن وتشعث البال والله المستعان على إتمامه في المستقبل إنه ولي التوفيق .

(بغداد) محمد رضا الشبيبي

رئيس مجلس النواب

---

(١) المعجم في اصحاب القاضي الصدفي لابن الابار ١٦١

(٢) انظر بغية الوعاة ٣٥٣

(٣) طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٢٧٧ بمجلدين

(٤) الف باء ٢ : ٣٦١ و ٣٦٢ وانظر ايضاً ١٥٦ و ٢٧٦ و ٣٦٦